أخلاق نفتقدها

إعداد
القسم العلمي بدار ابن خزيمة

مصدر هذه المادة :







بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله..وبعد:

فإن من أهمِّ مقاصد بعثة النبي ﷺ إلى الناس كافَّة هو تتمـــيم مكارم الأخلاق والدعوة إليها؛ قال ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم صـــالح الأخلاق**». [رواه أحمد والحاكم].

والخلق الطيب هو أفضل ما يتزيَّن به المسلم ويتعبَّد الله به؛ فهو زينةٌ فعَّالةٌ وحلية أقواله وأعماله، وذخره في عاقبته ومآله.

قال رسول الله ﷺ : «**عليك بطول الصمت وحسن الخلـــق، فما تزينت الخلائق إلا بمثلهما**».

وقال ﷺ أيضاً: «**إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصـــائم القائم**». [رواه الحاكم وصححه].

ولئن كان هناك من الأخلاق ما يتطلب مجاهدة للنفس وصبراً على الضُّر، فإن الكثير منها هيِّن على النفوس وشفاء لها.. بيـــد أن غفلة الناس عن تلك الأخلاق واقعة.

العفو والسماحة

من أهم الأخلاق وأعلاها: العفو والسماحة، وهذا الخلق على سُمُوِّ منزلته يعد من الخصال الغائبة بين الناس، ولو تأمل المسلم ما

يفوته من الأجر والخير بفوات هذا الخلق الجميل لتحسَّر على نفسه أسفاً!

فالعفو باب من أبواب العزِّ والنَّصر، كما قال النبي ﷺ: «**وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزًّا**». [رواه مسلم].

والسر في أن العفو من مفاتيح العز هو أن الإحسان على درجات، وأثقل الإحسان على النفس هو نسيانها حقوقها، وتجاوزها عن مظالمها، وهذا لا يستطيعه إلا القليل من الناس، ومن المعلوم أن الله جل وعلا قد أخبر أنه مع المحسنين، وأخبر أن العافين عن الناس هم المحسنون، فقال سبحانه: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾، وقال سبحانه: ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾؛ فمعية الله – سبحانه – بحسب إحسان المؤمن، ولمَّا كان العفوُ من أعلى درجات الإحسان فإن معيَّةَ الله للمحسن تكون مناسبةً لتلك الدَّرَجة، ومعيته سبحانه للمؤمن هي معية علم وتأييد ونصرة، وهي معيَّةٌ خاصَّةٌ بالمؤمن دون سواه؛ بخلاف معيَّة العلم التي تعمُّ الخلائق كلَّها.

ومن هذا يتبيَّن أنَّ العفوَ هو أوسع أبواب العزِّ وأقلُّها كُلْفَةً وأسهلُها على النُّفوس مقارَنةً بالأسباب الأخرى، ولذلك عدَّ العلماء العفو هو حسن الخلق نفسه؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله : وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل مَنْ قَطَعَكَ

بالسَّلام والإكرام والدعاء له والاستغفار، والثناء عليه، والزيارة له، وتعطي من حرمك من التعليم والمنفعة والمال، وتعفو عمَّن ظلمـــك في دم، أو مال، أو عرض، وبعض هذا واجب، وبعضه مستحب).

ولا يتصوَّر عفو إلا بكفِّ الغضب وكظم الغيظ، ولقد تقرَّر في السُّنَّة أنَّ كفَّ الغضب بابٌ من أبواب السّتر؛ كمـــا قـــال ﷺ : **«ومن كَفَّ غَضَبَه سَتَرَ الله عورتَه»**.

أخي الكريم: ولا تظنَّنَّ أنَّ العفوَ وكفَّ الغضب وكظمَ الغيظ سمةُ ضعف في الإنسان؛ بل هو دليل الشِّدَّة والقوَّة وبُعْـــد النَّظَـــر والعقل والحكمة؛ قال رسول الله ﷺ : «**ليس الشديد بالصـــرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**». [رواه البخاري].

قال الشاعر:

وإن الـــذي بـــيني وبـــين بـــني أبي
وبـــين بـــني عمـــي لمختلـــف جـــداً
إذا قـــدحوا لي نـــار حـــر بزنـــدهم
قدحت لهـــم في كـــل مكرمـــة زنـــداً
وإن أكلوا لحمي وفـــرتُ لحـــومهم
وإن هدموا مجدي بنيـــتُ لهـــم مجـــداً
ولا أحمـــل الحقـــد القـــديم علـــيهم
وليس رئيس القوم من يحمـــل الحقـــدا

النصيحة والتواصي بالحقِّ

وهذا أيضًا من أهمِّ الأخلاق التي لوحظ غيابُها بين الناس رغم أنها ركيزةٌ من ركائز الفوز في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾.

وحين تغيب النصيحة والتواصي بالحق يحل محلها الغيبة وتتبع العورات وتلقف الزلات والهمز واللمز والطعن في الأعراض، ولو صدق المغتاب في قوله.. لنصح وما فضح!

ولو صدق من يسمعه في سمعه لنصحه بأن ينصح قبل أن يتكلم!

قال رسول الله ﷺ : «**الدين النصيحة**». وفي ذلك من بيان مكانة النصيحة ما لا يخفى.

البشاشة والرفق

البشاشة الصَّادقة والرفق بالناس هما طريقان ميسران للقلوب؛ فبهما تزول الوحشة ويحصل الأنس، وتحل الطمأنينة محل الشك والريبة، وها هو القرآن يعلمنا ثمرات الرحمة والرفق.

قال الله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقي أخاك بوجه طلق**» [رواه مسلم].

وقال ﷺ أيضا: «**تبسمك في وجه أخيك لك صـــدقة**» [رواه الترمذي وحسَّنه].

ولله در القائل:

وما اكتسب المحامد حامدوها

بمثل البشر والوجه الطليـــق

وأما خلق الرفق فهو صفة من الصفات الإلهية يحبها الله سبحانه ويحب أهلها، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «**إن الله رفيقٌ يحب الرِّفق في الأمر كلِّه**». [رواه البخاري].

والرفق في الأمور من أسباب نجاحها وتمامها وزينتها، كما قال ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**». [رواه مسلم]، وقد أخبر رسول الله ﷺ أنَّ اللين والسهولة والرفق من صفات أهل الجنة فقال: «**أهل الجنة كل هين لين سهل قريب من الناس**».

الكلمة الطيبة

(الكلمة الطيبة) من أجلِّ العبادات التي ترفع مقام صاحبها عند الله، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : «**إن الرجل ليـــتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتـــب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة**». [رواه أحمد والترمذي].

وما كان هذا الثواب العظيم جزاء الكلمة الطيبة إلا لما لها مـــن وقع في النفوس، ومن دور في حفظ العلاقات الاجتماعيـــة بـــين الناس، ونشر المحبة والوئام والمودَّة بينهم، ولذلك أمـــر الله – جـــل

وعلا – بها فيه آية صريحة فقال: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾.

وانتقاء الكلمة الطيبة لا يستطيعه إلَّا مَنْ وفَّقَه الله لذلك؛ لأنــه يقتضي من المجاهدة ما يدعو إلى عدم الرَّدِّ على الشاتم بالمثــل، وإلى الصبر على الهامز واللامز والمعير والقاذف والمؤذي بلسانه.. فالناس وإن كانوا يبذلون الكلمة الطيبة في غير الخصومة إلا أنه حين يشتد غضب الآخرين وتظهر بوادر تسلُّط ألسنتهم فإن القليلَ من يوفَّــق إلى مقابلة الغلظة باللِّين، والغضب بالعفو والسماحة والحلم.

بني إن الــبر شـــيء هـــين   وجهٌ طليقٌ ولســـانٌ لـــيِّنٌ

إفشاءُ السَّلام

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رســـول الله ﷺ : «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أولا أدلُّكـــم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السَّـــلامَ بيـــنكم**». [رواه مسلم].

وإفشاء السلام لا يختص بالمسلم المعروف لدى المسلم؛ بل هو مستحبٌّ لكلِّ مسلم عرفتَه أو لم تعرفه، وحسبُك أنَّك تظفر مـــن ذلك بحسنات تجدها ذُخْراً ونصيراً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ومعاني السلام كلها معان جميلة تـــدلُّ علـــى المودَّة والمحبَّة والوصال، ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن ضدِّ هـــذه المعاني فقال: «**لا تباغضـــوا، ولا تحاســـدوا، ولا تـــدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**». [رواه البخاريُّ].

القناعة

وهذا الخلقُ النَّبيل من الأخلاق المؤسِّسة لصـــرح الســـعادة في القلوب والطمأنينة في الصدور، وهي من الأخلاق التي قلَّ من الناس مَنْ يوفَّق إليها؛ لا سيما في هذه العصور، رغم أنه باب من أبـــواب الفلاح ومفتاح من مفاتيح العزة؛ فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافـــاً، وقنعه الله بما آتاه**». [رواه مسلم].

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**طوبى لمن هدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافاً، وقنـــع**». [رواه الحـــاكم وصححه].

والقناعة خُلُقٌ ينشأ من صفاء الإيمان في القلـــوب، والرضـــى بقضاء الله وقدره، والجزم بأن الحرص والشح والبخل لا يزيـــد في الرزق، ولا ينقص منه؛ فالله جل وعلا قد قسَّـــم الأرزاق في الأزل وقدَّرها وكتبها وما كتبه الله لا يمحى.

ثم اعلم – أخي الكريم — أن المقصود من الأشـــياء نفعُهـــا لا ذاهّا؛ فليس المال مقصوداً لذاته؛ وإنما لما وراءه من النفـــع، وإنمـــا يقصد بالمال تحقيق الغنى والسعادة، وليس المال هو ما يحقِّق ذلـــك؛ وإنما القناعة والرضى..

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**يا أبـــا ذرّ، أترى كثرة المال هو الغنى؟**» قلت : نعم يا رسول الله. قـــال: «**فترى قلة المال هو الفقر؟**» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «**إنمـــا**

الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلـــب». [رواه ابـــنُ حبَّـــان في صحيحه].

وقال ﷺ أيضاً: «**ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغـــنى غنى النفس**». [رواه البخاري].

الأخوة والحب في الله

ومن أركان الأخلاق وقواعدها العظيمة : المحبة في الله؛ فهـــي خلقٌ عظيمٌ أجره، جزيل فضله وثوابه، وتأمل أخي في هذا الحديث العظيم الذي يبيِّن منزل هذا الخلق النفيس.

فعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغـــبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله!** قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم؟ قال: **هم قوم تحابُّوا بروح الله على غـــير أرحـــام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فو الله إنَّ وجوههم لنور وإنهم علـــى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن النـــاس**». وقرأ هذه الآية: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَـــيْهِمْ وَلَـــا هُـــمْ يَحْزَنُونَ**﴾». [رواه أبو داود، وهو في صـــحيح أبي داود بـــرقم: ٣٠١٢].

والحب في الله كما أنه سبب للرفعة والنور يوم القيامة، هو من أوسع أبواب انشراح الصدر وزوال الهم وإكرام الله جل وعلا للعبد ومحبته له.

قال ﷺ: «**وما أحب عبدٌ عبداً إلا أكرمه الله**».

وتشقى النفوس إذا اجتمعت على غير محبة الله، فحرمت مـــن هذا الأجر العظيم والشرف الكريم.

حـــــب في الله يوحـــــدنا ويواسي القاصي والـــداني
إخـــواني تلقـــاني فـــيهم وبقلـــبي تلقـــى إخـــواني

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.